مصطلح هوموأوسيوس (ὁμοούσιος):

نموذج لرحلة نضال الكنيسة من أجل الإيمان

عادل زكري[1]

مقدمة

في كتابه "ما يؤمن به المسيحيّون"، يعدد اللاهوتي مايكل بيرد[2] جوانب عديدةً لأهمية أن يكون لدينا قانون إيمان مُوحَّد نتلوه في صلواتنا الفردية أو الجماعية، من بينها ما يلي:

1- يقول بيرد: "قوانين الإيمان توفر أفضل تقليدٍ يعيننا على قراءة الكتاب المقدس"[3]، لأن قانون الإيمان يعمل كإطار مفاهيمي conceptual framework يُقرأ من خلاله الكتاب المقدس. ونحن بحاجة إلى هذا الإطار طوال الوقت لسببٍ بسيط وهو أنه لا أحدَ منا يقتربُ من الكتاب المقدس خُلوًا من الافتراضات المسبقة.

---

[1] عادل زكري إسحق، باحث قبطي أرثوذكسي، حاصل على درجة الماجستير في الدراسات اللاهوتية من جامعة أجورا، ودرجة الدكتوراة من جامعة هولي صوفيا، وله عديد من الترجمات في مجال الدراسات اللاهوتية والآبائية.

[2] مايكل بيرد (Michael F. Bird) هو لاهوتي إنجيلي معاصر من أستراليا، معروف بأعماله في مجالات العهد الجديد، الكريستولوجيا، واللاهوت النظامي. ينتمي إلى التيار الإنجيلي البروتستانتي، ويتّسم نهجه بالتوازن بين الموقف التقليدي في العقيدة والتفاعل النقدي مع الدراسات الأكاديمية الحديثة.

[3] مايكل بيرد، **ما يؤمن به المسيحيون: التأمل في قانون الإيمان الرسولي**، ترجمة رمزي عياد (الأردن: أوفير، 2025)، 23.

2- يقول أيضًا: "قد رَسَمت قوانين الإيمان خطًّا بين الإيمان المستمد من الكتاب المقدس والذي يُفهم في ضوء شهادة الرسل، وأي إيمان مختلفٍ يَظهر نتيجة دمج إحدى الفلسفات الوثنية بقراءات غير مترابطة من الكتاب المقدس"،[4] وبالتالي وضعت قوانين الإيمان حدودًا آمنة للإيمان الصحيح وما يقابله من نُسخ مزيفة من المسيحية.

3- "قوانين الإيمان... معيارٌ ذهبيٌّ يتيح لنا أن نحمي الأجزاء الأكثر أهمية من إيماننا".[5] قد يختلف المسيحيون في أمور فرعية أو تقاليد محلية، لكن ما يُعبّر عن جوهر المسيحية ويُحِدد قوامها الرئيس لا بد أن يُدرج في قانون الإيمان.

4- "قانون الإيمان يرغمنا على أن نرى إيماننا على أنه جزءٌ من الصورة الكبيرة، وجزءٌ من مقاصد الله الكبرى".[6] لذا نجد أن قانون الإيمان يبدأ بالخلق وينتهي بحياة الدهر الآتي.

5- "تلاوة قوانين الإيمان تعني أننا نقف في صفٍّ واحدٍ متراصٍّ يمتد من يسوع والرسل إلى الكنائس في وقتنا الحاضر".[7]

هذه النقاط الخمس تمثل جزءًا يسيرًا من نقاط كثيرة يعرضها الكاتب مايكل بيرد وتبرز أهميةَ وجودِ قانونٍ للإيمان يجتمع حوله المسيحيّون ويعبِّر عن هويتهم وطبيعة الجماعة التي ينتسبون إليها. غير أن صياغة ووضع هذه القوانين لم تكن رحلة سلسة، ولم تكن

---

[4] مايكل بيرد، **ما يؤمن به المسيحيون**، 25.

[5] مايكل بيرد، **ما يؤمن به المسيحيون**، 38، 39.

[6] مايكل بيرد، **ما يؤمن به المسيحيون**، 43.

[7] مايكل بيرد، **ما يؤمن به المسيحيون**، 47.

رفاهيةً أو نُزهةً، بل كانت أشبه بالنحت في الصَّخر. أود في هذه الورقة أن أدلل على هذا المعنى من خلال تقصي رحلة أحد أهم المصطلحات الواردة في قانون الإيمان النيقاوي القسطنطيني،[8] والذي صار معيارًا لأرثوذكسية الإيمان المسيحي عبر كل العصور، وهو مصطلح "هوموأوسيوس" ὁμοούσιος والذي يُترجم "مساوٍ للآب في الجوهر"، أو "واحد مع الآب في الجوهر". لكننا سنكتشف أنه يحوي معاني أكثر من هذا، ناضلت الكنيسةُ من أجل ترسيخها في مقابل معانٍ أخرى كانت مخالفةً للإجماع المسيحي في ذلك الوقت.

اعتراضات مبكرة على مصطلح "هوموأوسيوس"

يتبيّن لدى القارئ لكتابات الآباء في أعقاب مجمع نيقية أنه كانت هناك معارضة شديدة لمصطلح "هوموأوسيوس"، الأمر الذي دعا القديس أثناسيوس (ت 373م) إلى إبداء بعض المرونة تجاه من لديهم تحفظات تجاه المصطلح. يقول القديس أثناسيوس في كتابه "عن مجمعي ريميني وسلوقيا": "لكنّ الذين يقبلون كل مقررات مجمع نيقية ويترددون فقط في قبول تعبير "هوموأوسيوس"، فلا ينبغي أن يُعاملوا معاملة الأعداء. وفي الحقيقة نحن لا نقاومهم كما نقاوم المهووسين بالأريوسية، أو المعادين للآباء، ولكننا ندخلُ في حوارٍ معهم كإخوة مع أخوة،

[8] نسبة إلى مجمع نيقية 325م ومجمع القسطنطينية 381م؛ إذ يرى الكثيرون أن آباء مجمع القسطنطينية استخدموا صيغة إيمان مجمع نيقية ونقحوا وعدلوا وأضافوا عليها. يمكن القول بأن قانون مجمع نيقية كان يتألف من ثلاثة بنود رئيسية: بند خاص بأقنوم الآب، والثاني خاص بأقنوم الابن، وثالث خاص بأقنوم الروح القدس. لكن قانون مجمع القسطنطينية قدَّم بعض الإضافات مثل عبارة "بالروح القدس ومريم العذراء"، وعبارة "في عهد بيلاطس البنطي"، وعبارة "ليس لملكه انقضاء"، وتوسَّع في البند الثالث الخاص بأقنوم الروح القدس بإضافة عبارة "الرب المحيي المنبثق من الآب، مسجود له وممجد مع الآب والابن، الناطق في الأنبياء"، وكانت هذه الإضافات رد فعلٍ على الهرطقات التي ظهرت آنذاك ضد ألوهية الروح القدس مثل هرطقة مقدونيوس. ثم أضاف القانون بندًا رابعًا يتعلق بالكنيسة والمعمودية ورجاء الحياة الأخرى بالقيامة من الأموات.

فكرهم كفكرنا، لكنهم في مأزقٍ بشأن المصطلح نفسه" (فقرة 41).[9] يتضح من الكلام السابق أنه لم يكن الجميع مرتاحين لهذا المصطلح، ويبدو أن المصطلح نفسه كان يُفسَّر بطرقٍ مختلفة بين فريق وآخر.

القديس باسيليوس القيصري (ت 379م) أيضًا في إحدى رسائله التي كتبها حوالي عام 370م، أي بعد مجمع نيقية بعقود، يتعرَّض فيها لوجود مثل هذه الموجة من الاعتراضات على المصطلح، ويقول: "نحن ورثة أولئك الذين في نيقية أعلنوا الإعلان العظيم للدين الحق. وقد تمّ قبول تعليمهم عمومًا دون اعتراض، لكن مصطلح "هوموأوسيوس" الذي قَبِله البعض على مضض، لا يزال حتى اليوم غير مقبول قبولًا كُليًّا. ويجوز للمرء أن يُلقي باللوم على الذين يرفضونه، مع الاعتراف في الوقتِ عينه بأن لهم شيئًا من العذر. غير أن امتناعهم عن اتباع الآباء، ورفضهم اعتبار قرارهم أقل مرجعية من حكمتهم الخاصة هو أمرٌ يستحق اللوم بسبب ما فيه من كبرياء مفرط" (رسالة 52: 1). سنلاحظ في لغة كل من القديس أثناسيوس والقديس باسيليوس بعض المرونة اللازمة في فترةٍ كانت الكنيسة، ولا أبالغ إذا قلت المسيحيّة كلها، في مهب الريح بسبب خطر الأريوسية. لكن لماذا وُجِد البعض في مأزقٍ بشأن مصطلح "هوموأوسيوس"؟ هناك أربعة اعتراضات على المصطلح ظهرت في هذه الحقبة، وهي كالتالي:

1- مصطلح "هوموأوسيوس" ليس مصطلحًا كتابيًّا

[9] القديس أثناسيوس الرسولي، **عن مجمعي ريميني وسلوقيا**، ترجمة د. عادل زكري (القاهرة: مدرسة الإسكندرية للدراسات المسيحية، 2025)، 63.

يبدو أن هؤلاء الناس كان لديهم مبدأ معيّن، وهو: إذا لم ترد اللفظة في الكتاب المقدس فلن نؤمن بها. لكن ليسمح لي القارئ أن أقول إن هذا المبدأ معيبٌ وناقصٌ، لأن لفظة "ثالوث" نفسها لم ترد في الكتاب المقدس، فهل نتوقف عن استخدامها؟ حاول أثناسيوس أن يقول لهم إن الأهم هو المعنى المتضمَّن في المصطلح، وهل تتفق المضامين مع الكتاب المقدس أم لا. فإذا قبلنا المضامين فلن تشكّل المصطلحات مشكلة. في النهاية لابد من توظيف بعض العناصر من الثقافة المحيطة حتى تُسمع رسالة الإنجيل. يقول أثناسيوس: "أعلم جيدًا أنهم إن كانوا يقبلون المعنى الذي يقصده المجمع، فسوف يقبلون تمامًا المصطلحات التي يُقدَّم بها هذا المعنى... وإذا كانوا لا يزالون يعترضون قائلين إن مثل هذه التعبيرات غير كتابية... دعهم يلومون أنفسهم في هذا الأمر، لأنهم هم الذين وضعوا المثال مبتدئين حربًا ضد الله بكلمات ليست من الكتاب المقدس... (لكن) حتى إذا لم تكن هذه التعبيرات موجودة... في الكتاب المقدس، إلا أنها تتضمن وتحوي معنى الأسفار المقدسة" (فقرة 21).[10]

هذه الإشكالية تسلط الضوء على إمكانية استخدام الفلسفة ومصطلحاتها ونقاشاتها في شرح الأمور العقائدية. يبدو أن المجتمعين في نيقية رأوا حاجة للاستعانة بالفلسفة كخادمة للسر. وهذا يشير أيضًا إلى أن الآباء قد عملوا على تعميد أو مَسحنة المصطلحات الفلسفية.

[10] القديس أثناسيوس الرسولي، **دفاع عن قانون إيمان مجمع نيقية**، إعداد القس أثناسيوس فهمي جورج (إيبارشية أيرلندا: المؤلف، 1998)، 46-47.

أو كما يقول عالم الآبائيات برستيج Prestige "كانت الفكرة تُقطع لتتناسب مع الإيمان المسيحي، وليس أنّ الإيمانَ يتم تقليمه ليتناسب مع المفهوم المستورد".[11]

2- رُفض مصطلح "هوموأوسيوس" في مجمع سابق

كان بولس الساموساطي قد حُرم في مجمع بأنطاكية عُقد عام 268م. ويحكي لنا أثناسيوس هذه الخلفية فيقول: "لأن هؤلاء الذين عزلوا الساموساطي فهموا تعبير "هوموأوسيوس" بمعنى مادي... (بمعنى) لا بد من وجود ثلاثة جواهر، واحد سابق على كليهما، والآخران منه. لهذا السبب في تحذيرهم المعقول من سفسطة بولس، فقد أعلنوا أن المسيح ليس "هوموأوسيوس"" (فقرة 45).[12] كما يُستشف من الاقتباس السابق، فإن الذين حرموا الساموساطي وأنكروا أن الابن "هوموأوسيوس" قد فعلوا هذا بناءً على معانٍ خاطئة متعلقة بالمصطلح. لقد رأى الساموساطي أن المصطلح يفيد بوجود "جوهر سابق" على الآب والابن، وهذا المعنى مرفوض فيما يتعلق بالثالوث.

[11] G. L. Prestige, God in Patristic Thought, (London: S.P.C.K, 1952), xiv.

[12] القديس أثناسيوس الرسولي، **عن مجمعي ريميني وسلوقيا**، 68.

يستشهد أثناسيوس بالرسول بولس الذي "كتب بطريقة معينة عن الناموس إلى أهل رومية، وبطريقة أخرى إلى العبرانيين"،[13] فبالمنطق نفسه يخلُص إلى أن "كل مجمع كان لديه شرحٌ معقول وبسببه تحدَّث هؤلاء بطريقة معينة وأولئك بطريقة أخرى".[14] خلاصة الأمر، أن المصطلح ذاته يُفهم بأكثر من طريقة؛ بطريقة ما رُفض سابقًا، وبطريقة أُخرى قُبِل في نيقية.

القديس باسيليوس القيصري أيضًا تعرض لهذه المسألة وقال الآتي: "إن أعضاء المجمع الذين اجتمعوا لمناقشة قضية بولس الساموساطي، وجدوا نقيصة في المصطلح بكونه غير ملائم. لأنهم أكدوا أن "هوموأوسيوس" يحوي فكرة عن ما هو من الجوهر وما هو منحدر منه، لأن الجوهر عندما ينقسم تكون الأقسام الناتجة "هوموأوسيوس" مع بعضها. وهذا التفسير جائز منطقيًّا في حالة البرونز والعملة المعدنية المصنوعة منه، لكن في حالة الله الآب والله الابن فليس هناك مسألة الجوهر الأسبق والتالي، فمجرد هذا الفكر أو النطق بمثل هذه الأمور هو كفرٌ بيّن" (رسالة 52: 1).[15] الاقتباس السابق يشير إلى أن هناك تفسيرًا فلسفيًّا لفكرة الجوهر –من منظور أفلاطوني– يجعل للجوهر وجودًا سابقًا مستقلًّا عن تعييناته أو مصاديقه (أو أقانيمه)، وهذا ما رُفض من أجله المصطلح سابقًا.

وفقًا لباسيليوس لنتخيّل وجود كتلة من البرونز صُنِعَت منها عملتان متطابقتان مثلاً، ستصير العملتان "هوموأوسيوس" مع أحدهما الآخر، لكن في نفس الوقت الجوهر كان يمثل كيانًا ثالثًا سابقًا ومستقلًّا عنهما. لذلك هذه النظرة ستجعل من الثالوث رابوعًا (جوهر + 3

---

[13] القديس أثناسيوس الرسولي، **عن مجمعي ريميني وسلوقيا**، 68.

[14] القديس أثناسيوس الرسولي، **عن مجمعي ريميني وسلوقيا**، 69.

[15] St. Basil, *Letters*, Trans. by Deferrari, 331.

أقانيم) وهو ما رفضه آباء الكنيسة في مواضع عديدة؛ لأن الله ليس لديه سابق ولاحق. ومن ثَم نفهم أن المجمع الذي عزل الساموساطي رفض مصطلح "هوموأوسيوس" لأسباب صحيحة، وليس ما يمنع من استدعاء نفس المصطلح مرة أخرى في مجمعٍ آخر، لكن هذه المرة بمعانٍ صحيحة. نستطيع أن نتفهّم نفسية هؤلاء الرافضين للمصطلح، فقد رفضه آباؤهم سابقًا في مجمع كنسي، لذا وجب وصحّ أن يُظهر لهم أثناسيوس بعض المرونة، خاصة وأن أسباب رفضهم هذه المرة يمكن تفهُّمها.

3- فسّر البعض مصطلح "هوموأوسيوس" على أنه يؤدي إلى تقسيم الجوهر

امتدادًا للشرح السابق، إذا كان الابن "هوموأوسيوس" مع الآب ὁμοούσιον τῷ Πατρί أو "هوموأوسيوس تو باتري" كما يقول قانون مجمع نيقية، فقد فهم بعضٌ أنه يتضمن تجزئة أو انقسامًا للجوهر. انقسام الجوهر ينسف أمورًا كثيرة في العقيدة المسيحية؛ أولها: واحدية الله –أي أن الله واحد؛ ثانيًا: ستجعل الله عُرضة للتركيب composition الذي هو خاصية المخلوقات المادية. ثالثًا: التركيب يصحبه قابلية الانحلال والتفكك. رابعًا: التركيب يجعل "الكل" Whole أعظم من "أجزائه" Parts، وهذا مرفوضٌ في فهمنا للأقانيم؛ إذ إنَّ كل أقنوم له الملء الإلهي كله وليس جزءًا منه.

هذا المعنى الخاطئ الخاص بالتجزئة يرفضه يوسابيوس القيصري في رسالة له عن مجمع نيقية؛ إذ يقول: "إن عبارة "هوموأوسيوس تو باتري" تقوم على أساس متين إذا ما فُسِّرت تفسيرًا سليمًا، لا على نحو الأجسام، ولا كما هو شأن الحيوانات الفانية، ولا من جهة تقسيم أو انقسام في الجوهر، ولا بأي ألم أو تغيُّر أو تحوُّل في جوهر الآب أو قدرته؛ إذ إن طبيعة الآب غير المولودة منزّهة عن كلّ هذه الأمور.

بل إن عبارة "هوموأوسيوس تو باتري" تُفيد بأن ابن الله لا يُشبِه البتة الخليقة المصنوعة، بل هو، من كلِّ وجهٍ، مشابه فقط للآب الذي ولده، وليس من أقنوم أو جوهر آخر، بل من جوهر الآب نفسه. وقد بدا مناسبًا القبول بهذا المصطلح على هذا النحو من التفسير؛ إذ إنني أعلم أن بعض الأساقفة والعلماء اللامعين من القدماء قد استخدموا هذا التعبير ὁμοούσιος في الجدالات العقائدية الخاصة بالآب والابن".[16] يعلِّق عالم الآبائيات برستيج على هذا النص ويقول إن يوسابيوس هنا يقصد بالعلماء اللامعين: البابا ديونسيوس السكندري (ت 265م) والعلامة أوريجانوس (ت 254م).[17]

4- فسَّر البعض مصطلح "هوموأوسيوس" على أنه يؤدي إلى السابيلية

السابيلية تقول بأقنومٍ واحد، أو في واقع الأمر تقول إن الأقانيم هي مجرد أسماء ليس لها واقع حقيقي، أي أنها تنادي بأقنوم واحد يقوم بأكثر من دور، وتخلط بين الأقانيم. جدير بالذكر أن المؤرخ سقراتيس (380- 450م) يشخِّص لنا حالة الاضطراب حول هذه المصطلح، ويؤكد أن مصطلح "هوموأوسيوس" كان سببًا في انزعاج البعض، وأن الأطراف المختلفة حينما بدأت في فحص هذا المصطلح "بدأوا في النزاع بعضهم ضد بعض... فالذين اعترضوا على مصطلح "هوموأوسيوس"، اعتقدوا أن الذين يتمسكون به يتبنون آراء سابليوس... لذا اعتبروهم مجدفين لأنهم يقوضون أقنومية ابن الله. أمّا مؤيدو هذا المصطلح فقد وصفوا معارضيهم بأنهم ينادون بتعدد الآلهة، وابتعدوا

[16] As cited in John Anthony McGuckin, *We Believe in One Lord Jesus Christ*, vol. 2 of Ancient Christian Doctrine (Downers Grove, IL: InterVarsity Press, 2009), 70.
[17] G. L. Prestige, *God in Patristic Thought*, (London: S.P.C.K, 1952), 211.

عنهم باعتبارهم يجلبون الوثنية" (التاريخ الكنسي 1: 23).[18] ردًّا على هذا الاتهام بالسابيلية، يشرح أثناسيوس هذا الأمر كالتالي "أننا لا نعتقد بابن–آب a Son–Father كما يفعل السابيليون، داعين إياه monoousion وليس homoousion وبذلك يدمرون وجود الابن... ولا يمكننا أن نتخيَّل ثلاثة أقانيم منفصلة بعضها عن بعض، لئلا نعتقد بتعدد آلهة كالوثنيين... ومع ذلك... الآب ليس هو الابن، ولا الابن هو الآب..." (بيان الإيمان فقرة 2).[19] كما ذهب باسيليوس إلى أن هذا المصطلح –على عكس ما يقولون– يصحح أخطاء سابيليوس: "إن هذا المصطلح يصحح أخطاء سابيليوس... لأن مِن المستحيل أن يكون هناك مَن له نفس الجوهر (هوموأوسيوس) مع نفسه، لأن الواحد إنما يكون له نفس الجوهر مع آخر" (رسالة 52: 3).[20]

وفي خلفية هذه الاعتراضات اقترح البعض، ومنهم شخص يُدعى باسيليوس الأنقري، مصطلح "شبيه أو مشابه في الجوهر" أو "هوموي أوسيوس" ὁμοιοούσιος كبديل عن "هوموأوسيوس"، والفرق بين المصطلحين هو حرف واحد فقط هو اليوتا (ι) في اليونانية. يقول أثناسيوس: "القول بأنه مشابه بحسب الجوهر لا يشير إلى معنى "مِن الجوهر"، الذي يدلل بشكل أفضل على أصالة الابن في علاقته بالآب... القصدير هو فقط مشابه للفضة، والذئب مشابه للكلب، والعملة المطلية بالبرونز مشابهة للذهب الحقيقي... قول "مشابه" فقط لا

[18] As cited in J. N. D. Kelly, *Early Christian Doctrines*, 5th rev. ed. (London: Adam and Charles Black, 1968), 239- 240.

[19] https://www.newadvent.org/fathers/2821.htm.

[20] St. Basil, *Letters*, Trans. by Deferrari, 331.

يوصل بالضرورة معنى "مِن الجوهر". لكن مَن يقول "هوموأوسيوس" فإنه يعبّر عن معنى المصطلحين "مشابه في الجوهر" و"من الجوهر"" (فقرة 41).[21]

المعاني الصحيحة التي يؤكدها مصطلح "هوموأوسيوس"

من خلال النقاش السابق نستطيع أن نوجز المعاني الصحيحة التي أرادها آباء الكنيسة من مصطلح هوموأوسيوس ὁμοούσιος كالآتي:

1- أن الابن ليس من العدم، أي ليس مخلوقًا، كما قال أريوس بل كما قال أثناسيوس: "الابن هو مِن الآب"،[22] أي مِن جوهر الآب، وليس الأمر مجرد تشابه أو تماثل في الجوهر.

2- كما يؤكد المصطلح على عدم الانفصال مطلقًا؛ إذ يرفض أثناسيوس تشبيه هذه الوحدانية بالبشر الذين يشتركون في الطبيعة البشرية بالمعنى العام، ويقول "لأن الأجساد التي يشبه كل منهما الآخر يمكن أن تنفصل وأن تبتعد عن بعضها البعض، مثل الأبناء البشريين بالنسبة لوالديهم... لكن لأن ميلاد الابن ليس بحسب طبيعة البشر، وهو ليس فقط مثل الآب، بل وأيضًا غير منفصل عن جوهره، وهو والآب واحدٌ... فإن المجمع إذ وعى وفَهم ذلك، كتبَ بطريقة مناسبة تعبير "هوموأوسيوس"".[23]

---

[21] القديس أثناسيوس الرسولي، **عن مجمعي ريميني وسلوقيا**، 64.

[22] القديس أثناسيوس الرسولي، **دفاع عن قانون إيمان نيقية**، 46.

[23] القديس أثناسيوس الرسولي، **دفاع عن قانون إيمان نيقية**، 46.

3- كما يؤكد المصطلح على المساواة الكاملة في الألوهة وأن الابن ليس جزءًا، إذ يقول أثناسيوس عن الابن صورة الآب إن "صورة الألوهة ليست جزءًا من كلٍّ، بل إن ملء ألوهة الآب هو كيان الابن، فالابن هو إلهٌ كامل" (ضد الأريوسيين 3: 23: 6).[24]

4- ثم يكمِل أثناسيوس كلامه مؤكدًا على أن المصطلح يفيد في التأكيد على وحدة العمل الواحد أيضًا، إذ يقول: "لأن الابن هو مِن ذات جوهر الآب... هكذا فالأعمال التي عملها الابن هي أعمال الآب لأن الابن هو صورة ألوهة الآب الذي عُملت به الأعمال".[25]

5- ويكمل أيضًا فيؤكد معنى آخر وهو الإعلان المتطابق "ولذا فمَن ينظر إلى الابن يرى الآب لأن الابن يوجد ويُرى داخل ألوهة الآب".[26] بمعنى إنه إذا لم يكن المسيح هوموأوسيوس مع الآب، فلن يمكننا الحصول على هذه المعرفة الفريدة عن الله التي أُعلنت بابنه.

---

[24] القديس أثناسيوس الرسولي، **ضد الأريوسيين**، ترجمة د. صموئيل كامل، ود. نصحي عبد الشهيد، ود. مجدي صموئيل، الطبعة الثانية (القاهرة: مؤسسة القديس أنطونيوس، 2017)، 293. جدير بالذكر أنه يوجد في هذه الفكرة رد على الفكرة المغلوطة التي ينقلها القرآن عن الثالوث المسيحي؛ إذ يقول في صورة الزخرف 15 "وجعلوا له من عباده جزءًا"؛ لأننا نؤمن أن الابن ليس في جوهره عبدًا، بل في التدبير فقط، لكنه من حيث ألوهيته هو صورة الله الكاملة والذي لا يشكّل جزءًا من الألوهة، لأن جوهر الله غير المادي واللانهائي هو غير قابل للتجزئة أو التقسيم.

[25] القديس أثناسيوس الرسولي، **ضد الأريوسيين**، 293.

[26] القديس أثناسيوس الرسولي، **ضد الأريوسيين**، 293.

6- كما أن المصطلح يؤكد أيضًا على الغيرية otherness أو التمايز الحقيقي بين الأقانيم حتى لا يعني في مضمونه هرطقة سابيلية. وهذا ظهر جليًّا في رفض الآباء لمن يفسرون المصطلح على أنه يعني "آب-ابن". وبالتالي فالمصطلح يخدم في تأكيد واحدية الجوهر من جهة وتمايز الأقانيم من جهة أخرى.

7- هناك أهمية سوتيريولوجية (أو خلاصية) للمصطلح أيضًا؛ إذ قاومت الكنيسة أريوس الذي رأى في الابن مخلوقًا، لأن خلاصنا في هذه الحالة سيكون في مهب الريح؛ فكيف يمكن لمخلوق مفتقر للنعمة أن يخلصنا؛ "لا يستطيع مخلوقٌ أن يخلِّص مخلوقًا على الإطلاق".[27] لذا فبالتأكيد على أن الابن "هوموأوسيوس" مع الآب، أي من نفس طبيعته وجوهره وواحد معه في العمل والإرادة والقوة، نضمن أن يكون خلاصنا هو من الله.

هوموأوسيوس كمفتاح هرمنيوطيقي للكتاب المقدس

في كل ما سبق رأينا أن "هوموأوسيوس" يعبِّر بشكل دقيق عن المعطيات الكتابية عن عقيدة الثالوث القدوس، لكن اللاهوتي الاسكتلندي البروتستانتي توماس تورانس (1913- 2007م)، والذي تشبّع بفكر آباء الكنيسة الأوائل، يقول بشيء لافتٍ للانتباه جدًّا، وهو إن "هوموأوسيوس" أصبح "أداة تفسيرية" للكتاب المقدس. يقول تورانس إن صيغة هوموأوسيوس ترجع أهميتها إلى "أنها قدَّمت في تعبير محدَّد العلاقة الكيانية بين الابن المتجسد والآب، تلك العلاقة التي بُنيت عليها رسالة العهد الجديد، وفي ضوئها تُفسّر (وتُربط) نصوصه

[27] القديس أثناسيوس ، **الرسالة إلى أدلفيوس** فقرة 8 راجع: **المسيح في رسائل القديس أثناسيوس**، تعريب أ صموئيل كامل عبد السيد ود نصحي عبد الشهيد (القاهرة: مؤسسة القديس أنطونيوس، 2017)، 31.

المختلفة".[28] ويقول أيضًا: "بمجرد استقرار هذا التعبير كأداة لاهوتية... بدأ يساهم أيضًا كمرشد لفهم الكتب المقدسة".[29] لكن تورانس يذهب إلى ما هو أبعد من ذلك بكثير حين يصرّح بأنه لولا هوموأوسيوس "لفقد الإنجيل الأساس الفعلي لإعلان الله الذاتي لنا واتصاله الذاتي بنا في المسيح يسوع، وهذا الأساس هو ما يجعل الإنجيل يصير إنجيلًا (أي بشارة مفرحة حقيقية)".[30] ثم يضيف تورانس:[31] "إن الكنيسة عندما تدخل في مثل هذا الإدراك اللاهوتي (الذي يقدمه مفهوم هوموأوسيوس)، تكون قد وضعت قدميها على الأساس الرسولي الثابت، وتكون قادرة على أن تسلِّم للجيل التالي التعليم الصحيح كما تسلمته من الجيل السابق من دون تحريف أو تشويه".[32]

هوموأوسيوس كنقلة انقلابية على المنظور اليوناني القديم للوجود

كان العالم اليوناني القديم ينظر إلى الوجود بمنظور ثنائي dualism: عالم المعقولات (νοητὸς κόσμος) وعالم المحسوسات (αἰσθητὸς κόσμος)، وهذه الثنائية كانت ذات تأثير عميق على الفكر الفلسفي اليوناني. وكان الإله وفقًا لهذه النظرة لا ينتمي إلى

---

[28] توماس ف. تورانس، **الإيمان بالثالوث**، ترجمة د عماد موريس (القاهرة: بناريون للتراث الآباني، 2010)، 187.

[29] توماس ف. تورانس، **الإيمان بالثالوث**، 191.

[30] توماس ف. تورانس، **الإيمان بالثالوث**، 200.

[31] الشيء الآخر الذي ينوه له توماس تورانس في كتابه "الإيمان بالثالوث" أن القديس أثناسيوس "لم يتردد في تطبيق مصطلح هوموأوسيوس على الروح القدس كما هو الحال بالنسبة للابن. وتبعه في ذلك آخرون من لاهوتي ما بعد نيقية خاصة ديديموس وإيفاجريوس وغريغوريوس النزيانزي وإبيفانيوس" (الإيمان بالثالوث، 234)، وهذا حدث بالفعل في ستينيات القرن الرابع في رسائل القديس أثناسيوس للقديس سيرابيون أسقف تيمويس" (الروح القدس) خاص بالله الذي هو واحد، فهو من نفس الجوهر (هوموأوسيوس)" (1: 27)، راجع القديس أثناسيوس، **الرسائل عن الروح القدس**، ترجمة د. موريس تواضروس، د. نصحي عبد الشهيد، (القاهرة: مؤسسة القديس أنطونيوس، 2018)، 94.

[32] توماس ف. تورانس، **الإيمان بالثالوث**، 192.

عالم المحسوسات ولا يمكنه الاتصال بها إلا عبر سلسلة متدرجة من الوسطاء. لذا يمكن اعتبار أريوس مخلصًا إلى هذه النظرة الثنائية، وأنه وإن اعتبر الابن كأعظم هؤلاء الوسطاء إلا أنه رأى أنه ينتمي في النهاية لعالم المخلوقات. لذا فإن مصطلح "هوموأوسيوس" قد أكّد ورسّخ أن الابن هو مِن كيان الله وفي صميمه، وهو ما يتضمن إمكانية اتصال الله بالعالم. هذا المفهوم أحدث ثورة مفاهيمية كاسحة على الفكر اليوناني القديم؛ شيء أشبه بالثورة الكوبرنيكية في عالم الكوزمولوجيا.[33] ويمكننا تخيُّل هذا الحوار التالي بين أثناسيوس وأريوس:

- **أريوس:** لملء الفجوة بين الله والخليقة نحتاج إلى كائن وسيط.
- **أثناسيوس:** لا نحتاج لكائن وسيط؛ لأن الله محب للبشر "فيلانثربوس" (φιλανθρώπως).
- **أريوس:** تنازل الابن يعني بالضرورة أنه أدنى من الآب.
- **أثناسيوس:** تنازل الابن استعلان لمحبة الله للبشر "فيلانثروبيا" (φιλανθρωπία).
- **أريوس:** يد الله ثقيلة... ولأنه منزه جدًّا لا يستطيع التعامل مع الخليقة مباشرة، فلذلك خلق الابن من أجل أعماله.

[33] For more on this idea cf. A. Bryden Black, *The Lion, the Dove, & the Lamb: An Exploration into the Nature of the Christian God as Trinity*, foreword by Alister E. McGrath (Eugene, OR: Wipf and Stock, 2012).

– **أثناسيوس:** لو كان الابن مخلوقًا لما استطاع تحمُّل يد الله الثقيلة أيضًا (لأنه مخلوق في النهاية)، ولو تحمَّل يد الله الثقيلة مع كونه مخلوقًا، إذن يمكن لكل المخلوقات أن تتحملها؛ لذا فإن حُجتك مغلوطة.

– **أريوس:** الضعفات التي ذُكرت عن الابن تضعه في دائرة المخلوقات.

– **أثناسيوس:** هذه النقائص تختص بناسوته الذي أخذه بالتدبير لأجل خلاصنا. كما أن ألقابه الأخرى (مثل الصورة، والبهاء، القوة، والحكمة...) تضعه في دائرة الألوهية.

– **أريوس:** المعمودية بالآب والابن والروح القدس، لا تعني بالضرورة مساواة في الجوهر بين الثلاثة أقانيم.

– **أثناسيوس:** لو كان الابن والروح مخلوقين (من العدم) فكيف يقدران على أن يعكسا مسار البشرية الذي اتجه نحو العدم بالسقوط... فاقد الشيء لا يعطيه!

خاتمة

وهكذا أيها القارئ العزيز، أصبح مصطلح "هوموأوسيوس" معيارًا للفهم الصحيح لرسالة الإنجيل، البشارة المفرحة للعالم. البشارة التي تقول إن الله ظهر في الجسد، وخيَّم وسط شعبه (يوحنا 1: 4)، وكلمنا في ابنه (عبرانيين 1: 2). البشارة التي تقول إن الله تعطف على خليقته وخلصهم بابنه وبتقديس روحه. لقد وفّر لنا المصطلح أداة تفسيرية لفهم الكتاب المقدس، بل ونظّارة ترى الوجود بشكل مختلف عن

الفلسفات القديمة والحديثة التي تنادي باستحالة اتصال الله بخليقته بشكل ذاتي. هذه الرحلة الصعبة لهذا المصطلح تجعلنا نقدّر ونحتفي بما جاهد الآباء من أجله، وتجعلنا نتضع أمام النعمة الإلهية العاملة بهم وفيهم.